المثاقفة العربية الغربية وانعكاساتها على النقد الأدبي العربي المعاصر
استقصاء في المنهج والمصطلح

الطالبة الباحثة: فغول أسماء — إشراف الدكتور: مكيكة محمد جواد

مخبر الخطاب الحجاجي — مخبر الخطاب الحجاجي

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر — جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

تندرج المثاقفة باعتبارها أداة فاعلة من أدوات التغيير والتأثير الثقافي والاجتماعي وبالتالي النقدي أيضا وبناء على هذا الطرح لا نكاد نجد مجتمعا إنسانيا لم يعرف هذه الظاهرة أو استمر وجوده في غنى عنها، وضمن إطار هذا التفاعل النقدي العربي الغربي انتقلت الاتجاهات والمناهج النقدية إلى الساحة النقدية العربية الحديثة مما جعل من المغامرة مقامرة، فالخوض في غمار هذا التحدّي لم يخل من التناقضات والتعقيدات والانتكاسات، فأصبحت الحاجة ماسّة إلى تنظير يتلاءم وخصوصيات النقد العربي في مرحلته الراهنة وهو ما أسفر عن اضطراب في المنهج وغموض للرؤية في مواجهة المعطى الغربي وخلق إشكالات عديدة أبرزها تحديد المنهج والمصطلح.

الكلمات المفتاحية: المثاقفة؛ النقد الغربي؛ التأثر؛ التأثير؛ اضطراب المنهج النقدي؛ المناهج النقدية؛ التلقي؛ القراءة.

The Arab Western Culture and its Implications for Contemporary Arab Literary Criticism (A survey in the approach and terminology)

Abstract: Culture is an effective tool of change and of cultural and social influence and thus critical influence also, based on this proposal, we hardly find a human society that did not know this phenomenon or continued its existence without it. Within the context of this western Arab critical interaction, the trends shifted to the contemporary critical arena making it a gamble adventure, the challenge is not without contradictions, complications and setbacks, there was an urgent need for an outlook this appropriate to the specifics of Arab criticism in its current phase which resulted in a disturbance in the curriculum and an ambiguity of the vision in facing the western factor, and the creation of many problem, notably the definition of the approach and terminology

Keywords: Culture, Western criticism, influence, influence, critical approach disorder, critical method, reception, perusal

تاريخ تسليم البحث: 04 سبتمبر 2017.

تاريخ قبول البحث: 28 فبراير 2018.

لعلّه من الجائز القول في البداية أن التأثير والتأثر بين طرفين مختلفين علاقة جد طبيعية ذلك أن الفكر البشري يعي تماما بأنه لا يمكنه بأية حال من الأحوال أن يستمر إذا حاد بنفسه عن المعرفة عموما، ولذا نجد الأنا في سعي حثيث للانفتاح على الآخر، وإن منطق الإنجاز البشري برمته يفترض وجود أشكال عديدة من الاتصال إذا لم نقل الامتداد بينها؛ فجود الأفكار الجديدة يفرض وجود أفكار قديمة في المقابل، ومن هذا المنطلق نسلم بأن الدراسات النقدية العربية المعاصرة وفي ضوء ما اصطلح عليه **بالمثاقفة*** بدأت تنحو باتجاه تقديم تمظهرات جديدة في مشهدها النقدي الذي ودّع القراءات التي تقارب النص من فتحة ضيقة لا تخّول لها فرصة الغوص والتحليل العميقين لبنيته وانزياحاته وإدراك وهجه الإيحائي؛ الذي يجعل فعل القراءة مفتوحا على آفاق التحليل النصّي القادر على مواكبة الخطاب النقدي الراهن، مما دفع الناقد العربي المعاصر إلى التوجه صوب مناطق اشتغال جديدة تستحق أن يكون لها رصد معرفي يتجاوز النظام (الاجتراري) إن صحّ التعبير.

وهاهنا لا يمكن بأي حال من الأحوال - لأي كان - إنكار الدور البالغ للنقد الغربي بشقيه الإجرائي والتنظيري، في تطعيم النقد العربي الحديث والمعاصر، وهذا بعد ما أصبح لزاما على الناقد العربي وبوعي منه أيضا أن يعيد التفكير في مواقفه التي اعتاد عليها، وأن يعمل على بلورة وصقل رؤاه النقدية في ظل ما تقدمه المثاقفة، وعلى هذا النحو ترسخت في ذهنه ثقافة التغيير، وسرعان ما انتقل الناقد العربي إلى طور أكثر تقدما في تعامله مع المعطى الغربي الذي يروم مساءلته، بغية الارتقاء الى بناء مفهومات وتصورات خاصة لديه من جهة، وبهدف ترويض ميكانزمات النقد الغربي ومن ثم العمل على تطويعها بما يخدم النص العربي عموما من جهة أخرى، وضمن هذا التصور أصبح النقد العربي نسقا منتظما من المعرفة، في ضوء تجانس مقولات اشتغال الفكر والنقد البشريين.

لذا أصبح من الجليّ أن ما يميّز النقد العربي المعاصر، هو المزاوجة بين أدوات النقد الغربي والموروث العربي، سعيا إلى تطويع أحدهما ليتجاوب مع الآخر، وقد أدّى الاشتغال على الموروث العربي واستثمار طاقاته إلى تزويد النقد العربي المعاصر بمقومات الخصوصية، وهذا للتخفيف من حدّة محاكاة النموذج الغربي، والاسراف في استعارة أدواته وأشكاله، غير أنّ ذلك أوجب من ناحية أخرى ضربا آخر من التحدي، وهي قضية بات يطرحها أكثر من باحث بين رافض للأدوات المستعارة، وآخر لا يرى مهربا من الاستعانة بها في ظل غياب البديل، وانطلاقا من هذه الازدواجية في التعاطي مع النقد الغربي، قادنا التفكير الى طرح الاشكاليات الآتية: ما جدوى المثاقفة والمثاقفة النقدية؟ كيف تفاعل النقد العربي مع النقد الغربي المعاصر؟ وهل أمكن للمثاقفة النقدية تطوير آلة الناقد العربي؟

لقد تعارف الناس ومنذ القدم على بعضهم البعض بفعل الانفتاح؛ عن طريق الأسفار وأدب الرحلة، والبعثات العلمية والترجمة، والتواصل الإنساني "فلا شك أن العرب أخذوا من الروم والفرس واليونان بعضا مّما أنتجوه فنظموا به حياتهم، كما أنه لا شك أن الغرب قد نال أيضا من معين المعرفة الشرقية ما أسس عليه فكر الاختلاف الذي يعيشه اليوم"[1] فالمثاقفة بين الأمم ضرورة تفرضها الرغبة في التأثير والتأثر بحثا عن الحكمة واسترشادا بالرؤى النيرّة، والأفكار الخلاّقة من أجل تشييد بنية ثقافية متماسكة واعية بذاتها.

وللحديث عن العلاقة القائمة بين العرب والغرب نكون أمام علاقة شائكة بين ثقافتين مختلفتين تماما، إحداهما شرقية وأخرى غربية لها جذور ضاربة في عمق التاريخ، تأرجحت بين التقارب الحذر والصراع الدامي الذي يتأسس غالبا على مبدأ إلغاء الآخر "فلقد كان التوتر وعدم الثقة والإقصاء من السمات البارزة في هذه العلاقة لعوامل متعددة على رأسها الاختلاف العقدي إلى جانب عوامل أخرى كالآتي:

1- العامل الديني: فلقد كان الدين ولا يزال العامل الأكثر تأثيرا في هذه العلاقة والمتحكم في مصيرها وموجهها الأول، فالصراع بين الإسلام والديانات الأخرى صراع قديم، نتج عنه اعتقاد كل طرف أنه الأحق والأجدر بسيادة العالم، وهذا ما جعل العلاقة بين الشرق والغرب تتسم بالتحدي.

2- العامل السياسي: الذي لا يمكن استبعاده نظرا لتداخله مع العامل السابق، وبخاصة في العصور الحديثة التي عرفت أوروبا خلالها تقدما كبيرا، أوحى للإنسان الأوروبي أن أمته المتحضرة غدت مركزا تدور حوله جميع الأمم الأخرى، كما ساد اعتقاد آخر بأن أوروبا عليها أن تحرر هذه الأمم من التخلف؛ ممّا يجعلنا لا نستغرب آراء بعض الأدباء والفلاسفة الذين باركوا استعمار الدول الغربية للدول العربية.

3- العامل الاقتصادي: وهو عامل مهم منذ القدم، أمّا حديثا وبعد التطور الذي شهده الاقتصاد الأوروبي والنمو المتزايد في الإنتاج وفي عدد السكان، كان لزاما على أوروبا البحث عن أسواق ومواد خام جديدة، وقد كانت الدول العربية أقرب هدف يحقق مآربها.

تلك هي باختصار أهم العوامل المتحكمة في طبيعة العلاقة التي تربط بين الشرق العربي والغرب الأوروبي، والتي لا يبدو أنها تتغير على المدى القريب، وإن كانت هنالك بعض النقاط المضيئة مثل تبادل الخبرات والتعاون الاقتصادي، وبعض مظاهر المثاقفة العلمية كالترجمة وغيرها"[2].

وكنتيجة حتمية لهذه العلاقة ظهرت ثلاثة مواقف متباينة على الساحة العربية:

1-موقف يقبل الغرب مطلقا: يرى أن الغرب مصدر للحضارة ونموذج للتقدم، ولا مخرج من التخلف إلا بالاندماج اندماجا كاملا فيه "فإذا أراد العالم العربي أن يتقدم وأن يلحق بالركب الحضاري، فلابد أن يقبل بكل ما يَفِدُ من الغرب ويرفض كل موروثه الثقافي والاجتماعي والحضاري"[3] وهذا مردود على أصحابه، لأنه استلاب كليّ ومثاقفة فاشلة لا تخدم إلاّ الطرف الآخر وقد وصف أصحاب هذا الموقف بالاغتراب والعمالة و...إلى غيرها من الأوصاف، كونهم ارتموا في أحضان الغرب وراحوا يستمسكون بقيم مبتورة عن التراث ممّا جعل الحاضر همّهم الأول.

2 موقف يرفض الغرب رفضا مطلقا: فهو رافض محافظ لأنه رأى في الغرب (الاستعماري) العدو اللّدود الذي يهدد كيان الأمة ووجودها، فالغرب في نظره عدو حضاري للعرب وسبب تخلفهم وسبب لكل أزماتهم، وهو المحارب لخصوصيتهم وتراثهم، والتبعية له تعني الذوبان في منظومته الحضارية؛ "لذلك فبداية الحل الصحيح هي غلق الباب على هذه الحضارة ورفضها بكاملها"[4]، وهذا مردود أيضا على أصحابه لأنه مغالاة زائدة، ولأن الاقتراض والتعاطي بما يناسب الخصوصيات القومية مطلب حضاري وسلوك إيجابي لابد منه، وقد وُصف أصحاب هذه النزعة بالتقليد والرجعية لأنهم لا يستمدون قوتهم إلا من الماضي الذي شكّل لهم نقطة البداية للنهوض، والسلاح الوحيد لمواجهة التحدي الغربي.

3- موقف معتدل: وبين الموقفين نما موقف ثالث يتأرجح بينهما، ليأخذ من هذه مرة ومن تلك أخرى، بما يلبي حاجاته وأهدافه، حيث دعا للاستفادة من الغرب دون التفريط في قيمه أو تراثه أو التخلي عن خصوصيته، فالوسائل العلمية والتكنولوجية والعلوم والمناهج والأساليب...يمكن الأخذ بها، دون أن يؤدي ذلك للاندماج مع الآخر والانفصال عن الذات، "لذلك فإن حجر الزاوية في عملية التوفيق أو الانفتاح الواعي هو الحفاظ على ذاتنا الحضارية وانتمائنا المتميز، بما تتضمن هذه الذات والانتماء من تاريخ وقيم، وانطلاقا من هذه الذاتية نتعامل مع الآخر"[5] فجوهر الحقيقة أن الحضارة والتقدم والقوة لم تقتصر على أمة دون أخرى، ولا على زمن دون آخر، فهي أيام يداولها الله بين الناس، ولعلّ هذا أوضح ما يكون في تراثنا الفكري العربي القديم.

وقد اختلفت هذه المواقف الثلاثة تبعا للإطار المرجعي لكلّ منها وأصبح كل منها محكوما بسلطة الأنموذج الذي كان على نمطين مختلفين، أنموذج الماضي العربي، وأنموذج الحاضر الغربي.

1-**حول مفهوم المثاقفة:** بعد أن كان علم الأدب المقارن يتناول علاقة التشابه والتأثر والتأثير، ثم العلاقات بين الأدب من ناحية، وبقية ميادين المعرفة من ناحية أخرى، أصبح يُعنى بدراسات الترجمة والاستقبال والاستشراق، والاستغراب وأدب الرحلات وصورة الآخر، ومنذ سنوات قليلة تكتلت معظم ميادين البحث في الأدب المقارن في حقل واحد شامل، أطلق عليه (المثاقفة). حيث يعود هذا المصطلح في الأصل إلى أقلام الأنثروبولوجيين الأمريكيين في حدود 1880م، وإن كان الانجليز يستعملون بدلا عنه مصطلح (التداخل الثقافي)، في حين آثر الإسبان مصطلح (التحول الثقافي)، وفضّل الفرنسيون مصطلح (تداخل الحضارات)، ليصبح (مصطلح المثاقفة) أكثر تداولا وانتشارا من غيره، وقد عرّفه علماء الأناسة بأنه: "تفاعل بين الثقافات وتأثير متبادل نتيجة الاتصال الحاصل بينها واحتكاك بعضها ببعض"[6] وهذا المعنى هو المعبرَّ عنه بمصطلح "Acculturation" في اللّغتين الفرنسية والانجليزية، في حين يرى البعض الآخر في المثاقفة أنها "إثراء لمحتويات ثقافة لتلقيح ثقافة أخرى"[7] أي أنها استراتيجية ذات منفعة عامة تخدم كلا الطرفين، وتتجلى مظاهر هذه المثاقفة فيما تقتبسه ثقافة ما من غيرها من الثقافات، وتعمل على استيعابه وتأصيله في كيانها، حتى يغدو جزءا منها بعد أن كان في المنطلق طارئا على ذلك الكيان ووافدا عليه من الفضاء الخارجي، كما لا تقتصر مظاهر المثاقفة على جانب الأخذ والاقتباس فقط؛ بل تتمثل كذلك في جانب البذل والعطاء الذي يمكن أن تؤثر به ثقافة ما في غيرها من الثقافات، بحكم المخالطة والجوار أو فضل رُقيّها وانتشارها، لتكون المثاقفة بذلك عملية مشتركة تقوم على مبدأي الأخذ والعطاء؛ وإن كانت مسألة التأثر والاستيعاب يمكن أن تحصل من جانب دون آخر كما يمكن أن تكون كلّية أو جزئية.

وبالنظر في المفهوم (الأورو أمريكي) للمثاقفة فلا يعني أبعد من "الانصياع لثقافة الاستعباد، إذ أن جُل همّها الانتصار للمركزية الغربية حيث يتبنى هذا المفهوم مقولات بعينها منها تحضير المتخلف، مؤاخاة المتوحش...وغيرها من المقولات التي تعكس نظرة الاستعلاء والاستعمار الثقافي إذ تسعى لاحتكار الآخر وتذويب هويته"[8]

وعلى إثر هذا المفهوم ظهر مفهوم معاكس للمثاقفة يركز على احترام الثقافات الأخرى، وعلى التأثر والتأثير بين الثقافات مهما كانت مسمّياتها وأوصافها، هذه المثاقفة المعكوسة نمّتها دراسات الأدب المقارن، اعترافا بالثقافات الأخرى في الثقافات الغربية لذا تبدّى إقرار الاستشراق الأوروبي في الاعتراف بمكانة الثقافة العربية الإسلامية في الثقافة الغربية "للتقليل من خطر الاستعلاء الثقافي، أو التذويب الثقافي، وقد استندت المثاقفة المعكوسة إلى اشتغال الاستشراق بنقد التلقّف المعرفي الذي جعل المؤشرات الأجنبية هي السائدة في مضمار الثقافة العربية الإسلامية؛ بينما تؤكد دراسات التفاعل بين الثقافات والحضارات أن للإسلام وثقافته

العربية أثرا بالغا في العمران البشري، وقد تبنى مفكرون منصفون إسهام العرب والإسلام في حضارة الإنسان من بينهم: **ول ديورانت** في شعره الضخم **قصة الحضارة** و**زيغفريد هونكه** في **شمس العرب تسطع على الغرب**"[9].

كما كان للكتب العربية عن المثاقفة المعكوسة والتي تتحدث بعامة عن تأثير الثقافة العربية الإسلامية في الفكر الغربي، دور بارز في لفت النظر إلى الفكر العربي والثقافة العربية؛ ومن أمثلة ذلك كتاب **دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي لعبد الرحمان بدوي**، وكتاب **تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلاهية لصلاح فضل**، وكتاب **ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الانجليزي لمحمد جاسم الموسوي**، كما أن هناك كتبا معربة تؤكد هذه النظرة المعكوسة مثل **حضارة العرب في إسبانيا لليفي برونسان**، وكتاب **الماضي المشترك بين العرب والغرب لرانيلا**، وكتاب **حكم النبي محمد ليوتولستوي**.

كما أن هناك عددا كبيرا من كبار الكتاب أمثال **بورخيس** قد اعترفوا بالتأثير العميق للسردية العربية، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل ويؤكد بوضوح على تأثير الثقافة العربية الإسلامية والآداب العربية في الثقافات الأجنبية، وقد تنامت هذه التأثيرات ضمن نداء حوار الحضارات الذي يقوم على حوار العقائد والثقافات.

2- **المثاقفة النقدية:** هنالك توجه قوي نحو استشراف الجديد في مختلف مجالات النقد الأدبي وهذا الجديد يتعلق طبعا بالثقافة النقدية، وبنظرية النقد الأدبي، وبالمعرفة الأدبية، وبطرائق الدراسة والتحليل، وبأهمية الخطاب النقدي وموقعه ضمن الخطابات الأخرى، ولعلّ الفكرة الكامنة وراء ذلك تهدف إلى الدفع بعجلة النقد الأدبي العربي للانخراط ضمن مسيرة النقد العالمي في هذا القرن الجديد "وإن الباحثين في إطار الأدب المقارن الذين يحاولون تطوير المنهجية التي يقوم عليها عملهم قد تصدّوا قبل غيرهم لكثير من الإشكاليات التي تفرزها ظاهرة المثاقفة، وما المثاقفة النقدية إلا باب من أبواب المثاقفة بشكلها العام؛ لما يعيشه النقد العربي من انفتاح ومثاقفة واسعة على النقد الغربي بكافة تحولاته. فلقد استطاع الانفجار النقدي الحداثي خلال العقود الثلاثة الأخيرة أن يقلب الكثير من المفاهيم، والمناهج التي سادت خلال القرن 19 ومطلع القرن العشرين وأن يعيد صياغة الرؤية النقدية على ضوء جديد، بفضل الكشوفات التي حققتها الدراسات الألسنية والأيديولوجية والأسلوبية في مجال النقد الأدبي، والتي تمثلت في اتجاهات متعددة منها البنيوية والتفكيكية، واتجاه نقد القراءة والتلقي، والنقد السوسيولوجي الجديد، والنقد النسائي وما إلى ذلك"[10].

فلقد هيأت الظروف منذ العقد الأخير من القرن الماضي المناخ الملائم للتفاعل النقدي الناجم بين العرب والغرب، ضمن سيرورة التواصل المعرفي "الذي لا يعكس بالضرورة التأثر

بعلوم الأوّلين وعدم الخروج عنهم، لأن الفطرة الإنسانية تستدعي أن يستعين المتأخر بالمتقدم من تلقائه وابتداء على جميع ما يحتاج إليه (...) فبيّن أنه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تَقَدَّمنا في ذلك سواء أكان ذلك الغير مشاركا لنا أو غير مشارك في الملّة"[11].

ولأن التفاعل النقدي الحاصل كان على ثقافتين مختلفتين لكل منها أطروحاتها النقدية بما تقدمه هذه الثقافة من مقولات وخطابات لها مرجعتيها الفلسفية المشَكِلة للعقل الغربي والعربي، تبلورت أزمة الناقد العربي والمتمثلة في عدم قدرته على التمثل الكامل لفلسفة الناقد الغربي وخلفيته المعرفية؛ وبالتالي عدم القدرة على تبني المفاهيم، والمناهج النقدية الغربية في ثقافتنا العربية بسهولة.

المثاقفة ومسألة الاستقبال: لقد عرف العالم العربي في القرن العشرين تراكمات نقدية وثقافية ومنهجية متعددة، وقد كان لمسألة استيعاب المنهج، وتوظيف المصطلح، الأثر البالغ في قراءة النصوص الأدبية العربية وفهمها، ومن الصعوبة بمكان أن يحيط مقال بحث بكل أبعاد تلك التراكمات، ونظرا لهذا اخترنا أن نقتصر على إشكالية كلّ من المنهج والمصطلح النقديين وما مدى تأثيرهما في تكوين المفاهيم وتطوير الفكر النقدي، مع العلم أن الموضوع ذو أبعاد كبيرة أيضا وقد لا تفي به الصفحات المعدودة، ومن ثم فالقصد منصرف بالأساس إلى الإشارة والمقاربة دون الاستقصاء أو الإحاطة؛ علما أنه ممّا تجدر الإشارة به أن حركية المثاقفة النقدية في العام العربي الناتجة عن حركية تاريخه الحديث والمعاصر وعن التقلبات الاجتماعية والثقافية التي عرفها في الفترة الأخيرة، هي السبب الأوّل وراء هذا التغير الجذري في طرائق التعامل مع المنتج الأدبي، إذ بات من الصعب الفصل بين حركية النقد عن حركية التركيبة الثقافية المتبلورة، وعن البنيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

أ - أزمة المنهج الغربي في النقد العربي المعاصر:

على مدار التفاعل النقدي العربي مع النقد الغربي وتحديدا منذ عصر النهضة وإلى يومنا هذا نجد أن الموقف العربي من المنهج الغربي متمثلا في ثلاث مظاهر:

-عدم الأخذ بأي منهج والاكتفاء بتلخيص النص واقتطاف الشواهد منه للتدليل على أفكار تشكلت في وعي الناقد، بناء على قراءته وذائقته الفنية.

-التعامل بمنهج محدد انطلاقا من أحد العلوم الإنسانية، مثل التاريخ أو علم النفس أو علم الاجتماع أو علم اللغة...ومن ثمّ تطبيقها على النص الأدبي.

-التكامل المنهجي من خلال اعتماد كل المناهج الممكنة والمزج بينها في التحليل والتقويم.

وبالحديث عن انطلاقة القرن العشرين فإن النقد العربي قد عرف مرحلة جديدة، تشكل معها منجز نقدي جديد يختلف نوعيا عن النقد القديم؛ وقد قام هذا الاختلاف النوعي

على طبيعة المرجعية الجديدة لهذا النقد، التي هي مرجعية وافدة أراد منها الناقد العربي أن تكون مصدر ممارسته ودعامة إجراءاته الجديدة، مستندا في ذلك على مناهجها النقدية التي تنوعت بتنوع زوايا مقاربة الظاهرة الأدبية مفهوما ونصا، وأثناء ذلك سعى الناقد العربي عبر الأزمنة المتعاقبة وراء محاولة إدراك مقولات هذه المناهج ومن ثم توظيفها، وأمام هذه المناهج التي منحت النقد العربي صفة الحداثة والتمايز النوعي عن تاريخه القديم، وجد الناقد العربي نفسه أمام أزمات وعقبات متعددة تنطلق أساسا من العوامل الآتية:

-إن هذه المناهج من صنع المنظِّر الغربي الأجنبي فبالحديث عن التفكيكية مثلا: "من الصعب تماما أن نفهم أفكار أحد مؤسسي هذه المدرسة، أو الفلسفة أو المنظور مثل جاك دريدا"[12] فمثل هذه النظريات الغربية تنطلق من فلسفات وتراث فكري ونقدي يختلف بشكل أو بآخر عن ما هو متاح في الثقافة العربية، كما أن انطلاقتها كانت تستند الى طبيعة النص الغربي، وإن كانت تجمعه بالنص العربي قواسم مشتركة، إلا أنه يتميز عنه في طبيعة البناء الفني واللغة وأساليب التعبير.

-إن الناقد العربي "لم يكتمل أمامه المشهد النقدي المعاصر الخاص بالنظريات النقدية"[13] فلقد وصلت هذه النظريات والمناهج متأخرة إلى الساحة النقدية العربية، بسبب بطء تعاملنا مع المستجدات الفكرية في انتظار نتائج الغرب قبل أي اقتحام للميادين الجديدة، أو ربما لنزعة التوجس والخوف من الآخر عموما.

-أن هذه المستجدات قد تلاحقت بسرعة خلال فترة وجيزة، إلى درجة أن بعضا ممّن رددوا أسس البنيوية ونظرياتها وسارعوا إلى تبنيها لم يستوعبوها بَعدُ بالقدر الذي ينبغي لها، بل وإن "ممثلي ما بعد الحداثة هم بنيويون اكتشفوا خطأ طرائقهم على نحو مفاجئ"[14] مما يحيلنا إلى أننا بصدد حركة لا تعترف بالاستقرار وسرعان ما يظهر بديلها أو نقيضها الأمر الذي دعا بعض الدارسين إلى التأكيد على أن ما بعد الحداثة في زوال ونحن لا نزال نصارع الحداثة.

-أما العامل الرابع فهو ما سبق لنا الحديث عنه حول إشكالية المصطلح النقدي "التي تعكس بدورها أزمة في التفكير النقدي، يعيدها عبد السلام المسدي إلى افتقارنا للبعدين النقدي والأصولي، فأما الأول فتفسره غلبة المناحي المذهبية في التيارات النقدية الحديثة، وأما الثاني فمرده إلى الحواجز القائمة بين مصادر التفكير عند العرب، ولاسيما المحدثون منهم لعّلّ أوضحها الحاجز بين الفلسفة والنقد الأدبي"[15]

إن تظافر هذه العوامل جميعها أدى بطريقة أو بأخرى إلى صعوبة استيعاب هذه المناهج حينًا وإلى تشويهها أحيانا كنتيجة لتلك الصعوبة أو إلى ترديدها دونما اقتناع بعائدها الإيجابي على إبراز الإبداع العربي وتطويره. غير أنه لابد من الاعتراف أن تلك الصعوبات لم

تواجه الناقد العربي وحده، فلقد سبقه في ذلك الناقد الأوروبي أيضا في مرحلة ما من تاريخ النقد الحديث، بل وقد يكون بعضها مستعصيا على كثير من دارسي الأدب الأوروبي أو العالمي المتأخرين ممّن يُروِجُون لنظريات ما بعد الحداثة، مدفوعين بالرغبة في تجديد المناهج والرؤى والوصول بالنقد إلى آفاق بعيدة.

فبقدر ما نجد من اجتهادات في توصيل هذه المناهج إلى القراء والمهتمين بالإنتاج الأدبي في كل من الطرفين العربي والغربي، نجد من يقف منها موقف التشكيك في قدراتها، والدليل على ذلك هو أن البنيوية أو المناهج النقدية الحداثية لم يطل بها الزمن حتى انتقدت من أعلامها** أنفسهم فها هو **سلدن وستروك** مثلا يريان في البنيوية "نزعة مضادة للنزعة الإنسانية نظرا لمعارضة البنيويين لكل أشكال النقد الأدبي التي تجعل من الذات الإنسانية مصدرا للمعنى الأدبي وأصله"[16]، أما **جوناثان كالتر** فيعتقد "أن خطيئة السيميوطيقا تتمثل في محاولتها تدمير إحساسنا بالحقيقة في القص...مع أن هذه الحقيقة تسبق القص في القصة الجيّدة وتظل منفصلة عنه"[17]، "كما يبدو **جون إليس** مفندا للفكر التفكيكي ومهاجما أسلوب أصحابه الذي يتم بالاستفزاز في مهاجمة معارضيهم"[18]، و"**أبرامز**.. الذي يعتبر أن التفكيك لا يضع في اعتباره الطريقة التي نمارسها في تدقيق النصوص وفي تفردها، أو حتى السبل التي تبعث المشاعر والانفعالات في القراء"[19]

وعلى النحو الذي نجده عند الغربيين يذهب النقاد العرب إلى انتقاد المناهج المعاصرة استنادا إلى ما رأوه من نقائص وعيوب في تطبيقات بعض النقاد العرب لهذه المناهج، حيث يرى **فؤاد زكريا** أن مطبقي البنيوية يتعسفون "في تطبيق النموذج اللّغوي على كل مجالات العلوم الإنسانية وإنكار تعدد النماذج بتعدد ميادين البحث، وأن البنيوية تصلح لمجتمع تسوده وتحكمه التكنوقراطية"[20]، كما يرى **عثمان موافي** في أعمال **عبد الله الغذامي** "أن تطبيقه شابه بعض القصور نظرا لخلطه بين البنوية والتفكيكية أو التشريحية طبقا لتعبيره وبعض الاتجاهات الأخرى"[21]، والأمر ذاته مع **يمنى العيد** التي عُرِفت بمحاولاتها الجادّة في السعي نحو تمثل خطاب نقدي عربي له خصوصيته وهويته العربية، حيث تقول في معرض حديثها عن الاضطراب الذي يشوب هذه المناهج الغربية التي لازالت تطرح علامات استفهام على بعض أسسها ووظائفها في النهاية إلى القول أن "هذا ما يضع نقدنا الحديث المستفيد من هذه المناهج في موضع القلق والاضطراب الدائمين، ويفرض عليه الخروج من هذا الوضع، العمل على تأسيس فكر علمي في ثقافتنا قادر على إنتاج مناهج نقدية علمية لها صفة الكونية"[22]

لكن بالرغم من كل هذه الانتقادات الموجهة للمناهج الحديثة، إلا أن المنصف من القول يقرّ بأن حال المناهج السياقية والنسقية ليس سواء، وربما جاز القول بأن الأمر شبيه

بالحالة الصحية إذا أخذنا بالحسبان أن الكمال في العلوم الإنسانية ضرب من الوهم، وأن الاضطراب في المقدمات قد يؤدي إلى نتائج يحمد عليها في كثير من الأحايين.

فالأهم هو أن قيمة المنهج النقدي تكمن في ما يحمله من قوة وشحنة إجرائية، هذا بغض النظر عن خلفيته الفكرية وشحنته الإيديولوجية التي لا فكاك له منها، ومن ثمّ تظهر صلاحيته في التطبيق، فالحكم المسبق على هذا المنهج أو ذاك بالسلب أو الإيجاب هو أحد مظاهر الأزمة التي تعصف بالخطاب النقدي المعاصر؛ إذ أن هناك من النقاد من يجاهر بعداوته لمنهج أو لعدة مناهج بحجة أنها تستند إلى التراث الذي استنفذ وبلى في نظره، رافعا راية الحداثة وما بعدها في قطيعة مع كل ما يمُت بصلة إلى الماضي، وفريق آخر يدافع عن التراث لمجابهة الحداثة، ممّا أدى إلى أزمة تمزق وتضارب في الساحة النقدية العربية وبات كل حزب بما لديهم فرحون، فهل استطاع كل من الطرفين أن يؤسس لقواعد متينة يرتكز عليها في النقد العربي المعاصر؟ .

إن الحقيقة التي أثبتها الواقع وألحّ عليها أكثر من ناقد أن المنهج النقدي لا يقاس بقدمه أو بجِدّته؛ وإنما بتطبيقه وتمثله والحكم عليه بعد ذلك، وهذا ما أكد عليه الناقد عباس الجراري في كتابه **خطاب المنهج** موضحاً أن: "قيمة المنهج ليست كامنة فقط في نوع الأدوات التي استعملها الباحث سواء كانت صالحة أو غير صالحة، لمجرد أن البحث أو أن موضة تقتضي نوعا ما من المناهج، ولكن قيمة أي منهج رهينة بما يحققه في نطاق رؤيته وهدفه...يجب أن نعترف بتعدد المناهج ونقبل بعضها وقد نرفض بعضها، ولكننا حين نفعل لا ينبغي أن نراعي منطلقاتها الفلسفية؛ وإنما علينا أن نراعي مدى صلاحيتها وطواعيتها لموضوع الدرس"[23] فالمنهج كالكائن الحي يصيبه ما يصيب الكائن من الأمراض والعلل ويدركه ما يدرك الكائن من العجز والشيخوخة، فيتحول إلى أشلاء بالية "لأن المناهج مهما تكن يأتي عليها يوم بعد أن تعطي كل ثمارها فتفقد خصوبتها وتصبح عاجزة عن أن تفيدنا بشيء، أو أن تعرفها بجديد ولذلك فإن أنجع ما يكون حديثنا عن المناهج ليس في ضبط القواعد وتحديدها أدق تحديد ولا عندما يقوم وحده كصرح نسقي أو معياري، ولكن عندما يكون خصبا هنا والآن"[24]

وانطلاقا من هذا الوعي لم يعد هنالك منهج صالح على الدوام، فما صلح في الماضي قد لا يصلح للحاضر وما يصلح في الحاضر قد لا يصلح في المستقبل القريب أو البعيد، وتبقى المسألة نسبية والفيصل فيها هو الإجراء والتطبيق ومدى نجاعتهما "ونحن حين ننظر إلى محاولات نقادنا في المرحلة المعاصرة نجد أنهم سعوا إلى التوسل ببعض مناهج النقد الجديد التي أعطت ثمارا كلّية أو جزئية عند الغربيين، ولكن سعيهم لم يتجاوز التجريب الذي لم يُتح له أن يتم دون الوقوع في الخلل، وهو خلل مرده إلى أن التطبيق لم يكن متقنا وسليما وما كان

له أن يأتي على الوجه الأنسب، بسبب الاختلاف الذي يمس نوع المعطيات ومدى تأثيرها حين تكون من بيئة ويحاول إلصاقها ببيئة أخرى من جهة، والذي يمس طبيعة التعبير وأداته وكل ما يرتبط بهما من جهة أخرى"[25] ومادامت الساحة النقدية على وجه الخصوص تضم طرفين متناقضين، فإن المُعول عليه هو خلق ثقافة الحوار بين المناهج المختلفة والتيارات المتنوعة والمدارس المتعددة، وهذا ما يتقاطع مع جوهر المثاقفة الراشدة، ذلك أن قضية المنهج في طليعة اهتمامات الدارسين والنقاد العرب إذ يرونها حجر الزاوية لتجاوز الأزمة التي يعانيها الفكر النقدي، إلا أن طرقها مفصولة عن السياق المعرفي يجعل الطرح مبتورا لا يفضي إلى رؤية صحيحة ومتكاملة، تبلور حقيقة المنهج وتتيح التحكم فيه بحل إشكاليته، ومرد ذلك إلى أن أزمة المنهج جزء من الأزمة الشاملة وهي أزمة الاستقبال، وأي علاج يتناول المنهج مبتورا عن سياقه العام يكون عاقرا أو ربما عقيما.

ب - أزمة المصطلح في النقد العربي المعاصر:

يثير تعدد مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية الحديثة تساؤلات عديدة تتصل بمفهوم المصطلح وأهميته، وآليات تواجده وأسباب مشكلاته في الدراسات النقدية ومدى تأثير النظريات الغربية فيه، ولعلّ من أبرز هذه التساؤلات: هل يعد المصطلح النقدي إشكالية نقدية؟ وهل أدى تطويعه وعدم صناعته عربيا إلى اضطراب في تداوله؟ وما هي الأسباب وراء هذا الاضطراب؟ .

إنّ ما يعكسه المشهد النقدي العربي الراهن ليُقِرُّ عموما بوجود فوضى اصطلاحية، تنم عن حالة من الذهول، تسببت فيها ما فاضت به هذه المناهج من شبكات نظرية تدفقت على الساحة العربية النقدية الحديثة. ونظرا لأهمية المصطلح النقدي عُني الباحثون بدراسته، فكانت هناك مساهمات وجهود في المؤتمرات والندوات والبحوث، لكن أنظارهم قد انصرفت في الغالب إلى تناول جزئيات محددة تتعلق بواحد من المصطلحات المطروحة مثل: الشعرية، الأسلوبية البنيوية، الحداثة، التفكيكية، التناص، السردية، الظاهراتية... ونحو ذلك من المصطلحات التي استعمل العرب معظمها في غير ما أراد أصحابها الأجانب لها ولعلّ من بين هذه الدراسات التي تعكس ذلك ما قام به هؤلاء النقاد الذي نستعرض رؤاهم في ما يلي:

1- **عزت جاد**: في كتابه **المصطلح النقدي**[26] الذي تناول فيه بالدراسة العديد من المصطلحات النقدية، كما بيّن أهم الاختلافات في تناول المصطلح النقدي والأسباب التي أدت إلى ذلك.

2- **نايف العجلوني**: في كتابه **الحداثة والحداثية المصطلح والمفهوم**[27] الذي تناول فيه قضايا الحداثة والحداثية وارتباطها بتحولات بنوية عميقة في سياق هذه الأزمنة، كما عالج مشكلات الحداثة والتحديث والحداثية وما يتصل بها اصطلاحا ومفهوما.

3- **عبد السلام المسدي**: في كتابه **اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب**[28] الذي طرح فيه أسباب هذا الاختلاف، من خلال نماذج يبرهن من خلالها نشأة المصطلح وانتشاره وتداوله بمفاهيم ومسميات عديدة، ومن ثم يفند الأسباب التي أدت إلى ذلك الاختلاف، وأيضا كتاب **المصطلح النقدي وآلية صياغته**[29] الذي يوضح فيه الثوابت المعرفية المطلقة، والمسالك النوعية الخاصة، والنواميس اللّغوية العامة في صياغة المصطلح.

4- **سعيد علوش**: في كتابه **إنزياحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي المعاصر**[30] الذي أوضح من خلاله إشكالية الاختلاف والخصوصية، وأثرهما في علاقة الأسماء بمسمياتها، وما تؤديه من إنزياحات وتضارب في استعمالات المصطلح، بين ولادتها الأصلية في مصادرها الأولى وتناقلها عبر وسطاء، يَخْضعون لتقاليد أدبية ومواصفات ثقافية تسمح للمصطلح بانزياحات تطبع الاستعمال والكتابة والقراءة؛ مما يخلق مشكلة المصطلح في التطبيقات النقدية.

ورغم ما بذلته هذه الدراسات من جهود حول المصطلح النقدي، وما وصلت إليه من نتائج وما طرحته من حلول، لا يزال بحاجة إلى دراسات نقدية للبحث في مشكلاته؛ لأنها مصطلحات حديثة ظهرت في هذا العصر الذي تشابكت فيه الحقول المعرفية وتداخلت، خصوصا النقدية منها.

1- أبرز مشاكل المصطلح النقدي:

1-1 تنوع المناهج النقدية:

الملاحظ من تتبع مسيرة الحركة النقدية العربية عبر تاريخها الطويل، هو اختلاف وتنوع المناهج النقدية مع تعدد مصادرها، ممّا يفرض أنّ كل منهج يفرز مجموعة من المصطلحات الخاصة به، والتي تحيل إلى مدارس مختلفة اعتمدها النقاد العرب في دراساتهم، لا تكاد تولد ثم تسود وتهيمن حتى تضمحل، مما يدفع بالناقد إلى اعتناق منهج جديد بدوره يفرز مصطلحات جديدة لا علاقة لها بالمنهج السابق وهكذا في ظلّ "غياب منهج شامل ينطلق من خصوصية حضارية مستقلة"[31] وغياب الضبط المنهجي المتكامل أصبح من الصعب وضوح الحدود الفاصلة والتحديدات التي تسيّج للمفاهيم والمقولات والأنماط التي تشكل الأساس الاصطلاحي، الأمر الذي جعل الناقد العربي يقتصر على عملية النقل المجرد لهذه المصطلحات في ثوبها النهائي الجاهز.

1-2 الترجمة الحرفية:

تعد ظاهرة الترجمة الحرفية للمصطلح النقدي وشكله وإغفال دلالته؛ من أخطر الظواهر التي يعانيها المصطلح النقدي، لعدم وجود معايير وأسس واضحة يعتمدها المترجم في عملية نقل المصطلح الأصلي، ولعلّ فقدان المعيارية المثلى في ترجمة المصطلح أخفقت في تحقيق "اعتماد أسس الاصطلاح تواصلا مع الأصل المعرفي وتأكيدا في الآن ذاته على مشروعية المترجم كمُشَرِعٍ أوّل، شأنه شأن الواضع الأول"[32] إذ أن فقدان الوعي الجمالي والفني عند المترجم يمكن أن يؤدي بالترجمة الحرفية للمصطلح إلى تصور آخر، لا علاقة له بالمعنى الأصلي للمصطلح فتتضارب الصور وتتماهى في الحقل الدلالي الواحد، لتركيز المترجم على المعنى اللّغوي دون الاهتمام بالدلالة، ما يؤدي إلى قتل المعنى الأصلي المراد من المصطلح.

1-3 تعدد لغات المصطلح النقدي:

إنّ ما يزيد من الأمر تعقيدا هو أن هذه المصطلحات النقدية قد نقلت عن لغات متعددة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية...ولكلّ لغة سماتها وخصائصها المميزة لها، وكثيرا ما يختلف معنى المصطلح في لغة ما عن معناه في اللّغات الأخرى، "لتعدد الجماعات المستعملة للّغة واختلافها أو لتطور الاصطلاح"[33] مما يجعل نقلها إلى العربية مضطربا يفتقد إلى صيغة نهائية ومّوّحدة يقف عندها الباحث أو الدارس.

أضف إلى هذا أن خصائص اللّغات الأجنبية المنقول عنها، وخاصة الفرنسية والإنجليزية تختلف عن خصائص اللّغة العربية؛ لأنهما لا إعرابيتان تعتمدان صفة التركيب، وهذا ما لا نجده في العربية والأمثلة عديدة منها:

- **بنائي Structural**
- **إتباع Classic – Classique**
- **خيالي Imaginaire – Imaginary**

بحيث تنسب إلى الكلمة لواحق مثلisque - Aire - Al ... وهذا ما جعل العديد من النقاد يستعملون المصطلحات النقدية وكأنها أوجه لعملة واحدة. كما أن تعدد اللّغات التي يستقي منها الناقد مصطلحاته، فرضت ما يعرف بازدواجية المصطلح الحتمية وتضاربه في الدول العربية؛ لأن النقد في المغرب العربي وبعض دول المشرق العربي ينقل عن اللّغة الفرنسية، في حين أنه ينقل عن اللّغة الانجليزية في بقية دول المشرق العربي.

1-4 عقم المجامع اللّغوية في الوطن العربي:

رغم كثرة الندوات والمؤتمرات التي تعقدها هذه المجامع، وكذا تعدد الكتب والإصدارات حول هذه القضية، إلا أن هذه المجامع تبدو جامدة غير قادرة على توليد مصطلحات عربية من

باطن النصوص أو ابتكارها، أو صناعتها أو توحيدها "فتأثير هذه المجامع في التداول اللّغوي محدود جدا وإنّ اجتهادها قد زاد التشتت تفاقما"[34]، رُغم أن الهدف الرئيسي من وراء تأسيس هذه المجامع في الدول العربية، هو وضع المصطلحات الدالة لما يظهر من مبتكرات في كافة المجالات الوافدة على الصعيد العربي من الغرب.

وقد اقتصر الاهتمام بالمصطلح النقدي على جهود فردية وإبداعات محدودة، لم تنل الفرصة الكافية للتواصل التام مع المصطلحات كافة، وقد تبلورت هذه الجهود الفردية في بعض المعاجم اللّغوية والاصطلاحية والأبحاث، وفي بعض أذيال الكتب النقدية نذكر من بينها:

- **دليل الناقد الأدبي لميجان الرويلي وسعد البازغي.**
- **معجم المصطلحات الأدبية الحديثة لمحمد عناني.**
- **موسوعة المصطلح النقدي لعبد الواحد لؤلؤة**
- **المعجم الأدبي لعبد النور جبور**

1-5 تبعية النقد العربي للنقد الغربي:

وهذا من أخطر مشاكل المصطلح النقدي وأسبابه بل إنها أساسه، نظرا لاعتماد العرب في نقدهم لنصوصهم على المصادر والمراجع الغربية في تلقي المصطلح النقدي، وتشكيل مفهومه وأدواته الإجرائية، ومما زاد الطين بلة اختلاف النقاد العرب أنفسهم في إدراك المصطلح الواحد، وهذا راجع لاختلاف مذاهبهم ومشاربهم وثقافتهم النقدية؛ الأمر الذي فرض على النقد العربي المعاصر حالة من الاغتراب والانقطاع عن جذوره؛ لأن معظمه مستمد من جذور غريبة المنشأ، وفي السياق ذاته يقول أحد الباحثين "لعلي لا أخطئ إذا زعمت أن إحساسنا العميق بالأزمة التي تلف وجوه حياتنا جميعا وتتأصل فيها حياة عربية مأزومة وثقافة عربية مأزومة وإنسان عربي مأزوم، هو الذي دفعنا إلى الانحياز المنهجي، أو إلى شطط الاستعارة من الآخر"[35]. ولاشك أن هذه التبعية النقدية قد أدت إلى اضطراب المصطلح وتكّدّسه داخل النصوص التي تحولت إلى جهاز مرجعي أو تشابك مفهومي "وهذا ما جعل قضية المصطلح في النقد العربي تبدو قضية ترجمة وتعريب بالدرجة الأولى"[36].

وبالرغم من تنبيه الكثير من النقاد إلى خطورة التبعية النقدية، وما آل إليه النقد العربي بعد انفتاحه على النقد الغربي والنهل منه من تفسخ وتشتت بلغ الأمر بصنف من النقاد العرب إلى الاغتراف منه إلى غاية الوقوع في المحظور "فتشتت رؤيته النقدية وبقي تائها لا يجد إلى المسار السليم سبيلا"[37]، فقد تدفقت الدراسات العالمية إلى الساحة النقدية العربية، وراح النقاد ينهلون منها رغبة في مسايرة التطور النقدي العالمي دون قيود وضوابط محددة، مما أوقعهم في الانفلات "لأن المعايير النقدية تسّوى على عجل والنقاد ينقدون دون ترتيب أو أناه

فتضطرب بين أيديهم جل المصطلحات وتتداخل وتتحول الثقافة إلى دراسات منهجية تكاد تستعصي على محاولة رّدها إلى منهج بعينه أو إلى مناهج متقاربة"[38].

وقد أدى هذا النقل العشوائي الجائر إلى نقل مصطلحات غريبة لا تمت بصلة إلى النص الذي وضعت فيه، ممّا زاد النقد العربي غموضا وضبابية، وكّلّ ذلك ساعد في ظهور أصوات كثيرة "تتحدث عن نقد معاصر لا عن نقد عربي معاصر"[39] وهذا ما حرم المتلقي من تحديد المعنى الدقيق لها -أي المصطلحات- وقد شاع تناول هذه الظاهرة في معاجم المصطلحات الأدبية والنقدية التي تزدحم بالكلمات غير الاصطلاحية، على اعتبار أنها تقابل المصطلح النقدي الغربي وهي عديدة مثل:

- **معجم المصطلحات الحديثة لمحمد عناني.**
- **معجم المصطلحات الأدبية لسعيد علوش.**
- **كتاب النقد وأوهام رواد الحداثة لسمير حجازي.**
- **كتاب الأسلوب والأسلوبية لعبد السلام المسدي.**
- **كتاب بنية النص السردي لحميد الحميداني.**

كانت هذه من أبرز مشاكل المصطلح النقدي في النقد العربي المعاصر الذي بات مشهده فوضويا وغامضا، حتى ليمكن القول أنه يسير إلى هاوية فقدان الهوية أين ينطوي المضمر الذي يقف وراء الظاهرة في ممارستنا النقدية، فقد يبدو لنا من الوهلة الأولى أن هذا التشظي الذي يسم هذا الخطاب علامة دالة على الحيوية والفاعلية في الفكر والنقد، من باب أنه عادة ما يكون الاختلاف ذا دلالة إيجابية وهذا صحيح؛ لكن الموازين على غير ذلك إذا تعلق الأمر بالقضية المصطلحية المؤسسة للخطاب النقدي، فالمصطلحات المقترضة ليست شفافة أو بريئة، إنها ممثل بارع ذو مرجعية إيديولوجية تُدين لها ومن السذاجة إذا أن نعامله ببراءة.

وفي ظل أزمة الاستقبال التي يشهدها المصطلح النقدي تتبدّى مظاهر إشكالياته، حيث يواجه الخطاب النقدي تحديات جمّة، تحول دون استقلاله وتحديد أفقه المرجعي الذي يؤطره ويحميه من مزالق المثاقفة النقدية (السلبية).

وفي السياق ذاته نجد الناقد **سعد البازغي** يتناول بالدراسة دافع الاستقبال النقدي الذي يعيشه الخطاب النقدي العربي المعاصر، محاولا توجيه الأصابع إلى مكمن الداء في مقدمة كتابه استقبال الآخر قائلا: "وقد وجدت من منطلقي هذا أنه يمكن وصف التفاعل مع الغرب على أنه نوع من الاستقبال بالمعنى المزدوج للاستقبال: استقبال بمعنى التلقي والسعي إلى التفاعل البنّاء واستقبال بمعنى اتخاذ المكان أو الجهة قبله أي بالمعنى الذي يبرز خضوع الكثير من نقدنا العربي لمقولات ونظريات ومناهج ليست مناسبة دائما، أو بالشكل الذي استقبلت به

ولم تُستوَعَب في الغالب كما ينبغي"[40] ومن هذا المنطلق فإنه لا يمكن للنقد العربي أن يكون استقبالا فاعلا وبَنَّاءً على حد تعبير **البازغي** إلا بتخطي عتبة إشكالية المصطلح أولا كونه مفتاحا لهذا الحقل المضطرب، الذي وضع الناقد العربي أمام تحديات أعقد وأوسع من التي يتعين على الناقد العربي مجابهتها.

إن مواجهة ما كان يسمى الغزو الثقافي لم يعد لعبة مسلية، خصوصا في عصرنا هذا حيث فقد المكان معناه وحدوده، كما أن الارتماء في أحضان الآخر والوقوع في براثن التبعية والاستلاب ليس بالبديل الأصلح والأنسب. ، وممّا لاشك فيه أن الانفتاح المقيّد هو الحل التوفيقي "وهو هدف لا يمكن أن يتحقق إلا باتخاذ موقف وسط توفيقي يأخذ بعبن الاعتبار وضعنا الحضاري الراهن بكل أبعاده وخصوصياته، بين تراث قديم من إفراز مرحلة لم يعد لها وجود، من جهة، وحضارة غريبة حديثة تتجاوزنا معطياتها بمراحل كثيرة، من جهة أخرى، مما سيعمل دون شك على تمكيننا من ميكانزمات المعرفة المعاصرة، ويؤصل جذورها في تربتنا، بعيدا عن كل تبعية أو استلاب"[41]، وفي حال اختيارنا لهذا الحل التوفيقي يجب أخذ الحيطة والحرص حتى لا نقع في التلفيق بدلا من التوفيق وهذا ما يتطلب أمرين:

-الرجوع إلى تراثنا العلمي وسبر أغواره لاكتشافه من جديد لحصر العناصر المعرفية والمنهجية، واستحضار ما هو حي وملائم منها للتوظيف والإحياء، فنستمد منه ما يقوي فينا قدرة الإبداع أو يفتح أبوابه.

-التفتح الواعي بعمق وحرية على التراث الغربي في شتى ميادينه ليس لمجرد إتباعه في الركب، وإنما للاستفادة من المقومات التي كانت مؤهلة له لأن يتقدم.

لكنّ هذين الأمرين لا يتحققان إلا من خلال إحساسنا بالواقع الذي نعيشه، وما مدى رغبتنا في تغييره والقدرة على هذا التغيير، ثم من خلال تحديدنا للغايات والأهداف أولا، ونظرتنا للآخر نظرة موضوعية من غير قبول أو رفض مسبقين، بعيدا عن أي جدل عقيم لا يستند إلاّ على مجرد التحيز والخصومة للطرف الآخر.

خاتمة: بناءً على ما سبق كلمّا تسلحنا بهذا الوعي كان تلقينا للمنتج الفكري الغربي منهجا ومصطلحا في ظل المثاقفة النقدية مفيدا ونافعا، ولاشك أن الكثير من النقاد العرب من خلال محاولاتهم التهجينية قد استطاعوا أن يؤسسوا لخطاب نقدي معاصر، دون الوقوع في فخ التبعية والاستلاب، فلقد حاول بعضهم أن تكون له إسهامات فكرية مثلهم مثل زملائهم في العالم الغربي وخصوصا فيما بعد البنيوية مثل الناقد الفلسطيني **إدوارد سعيد**، الذي عانى من ضغوط كبيرة لتغيير اتجاهه النقدي المتزن، الذي يأبى أن يكون تابعا دائما على الرغم من أنه عاش في الولايات المتحدة الأمريكية ودرس في أكبر جامعاتها، ففي شأنه يرى جابر عصفور

"أن الإبداع ليس طريقة الإتباع وأن الإسهام في إنتاج المشهد النقدي العالمي يبدأ بنقده وإعادة النظر في علاقاته والمشاركة الواثقة التي لا تنطوي على عقدة دونية في الإضافة إليه"[42] إذ ليس من المنفعة في شيء أن يبقى التراث النقدي والفلسفي العربي حبيس الذكرى والدراسات المقارنة فحسب، بل هو مادة قابلة للتطوير والتعديل والتحسين.

خلاصة القول أننا لا نريد من هذه الدعاوى سوى استثمارها، فالحقيقة أن هذه المعضلات النقدية التي تعانيها الساحة العربية، لمن المحفزات التي تدفعنا إلى إعادة الاعتبار إلى النص العربي، لا نقول العودة إلى النص القديم كما هو، وإنما تطويره من الداخل وهو ما من شأنه أن يصنع مدرسة عربية تتناسب مع خصائص البيان العربي، فلا ضير في أن نستفيد من تجارب غيرنا ولكن بالقدر الذي نحافظ به على ذواتنا.

مراجع البحث وإحالاته:

---

* وتعبرّ عن أوجه التبادل الثقافي (الأخذ والعطاء) بين الحضارات البشرية المتعددة، وهو اتجاه يسعى لأن يكون وسطا بين الانفتاح المطلق الذي يؤول إلى الانصهار في ثقافة الآخر، وبين الانغلاق المطلق الذي يؤول إلى الانعزال تماماً عن الآخر والعالم بأسره، أي أنها رافد مهم تسعى كل أمةٍ من خلاله إلى معرفة الآخر واستثمار ما لديه من قيم ومعطيات إنسانية وحضارية، وإلى تنمية كيانها الثقافي بشكل خلاّق وغير مضر بمقومات الهوّية وثوابتها.

1 أحمد مداس، المعرفة واستئثار الأنا بالآخر، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ع 09، 2013، ص: 11

2 ينظر: منصور زيطة، مصطلح الحداثة عند أدونيس، مخطوط ماجستير، جامعة ورقلة،الجزائر2014، ص: 98

3 محمد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، ط. 1، 1998، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص: 18

4 المرجع السابق، ص: 18

5 المرجع نفسه، ص: 20

6 ينظر: Le Petit Larousse Illustré. Dictionnaire Encyclopédique 1993, p: 34

7ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط4، 2005، المركز الثقافي للعرب، المغرب، ص: 195

8يوسف اليوسف، المثاقفة بين مفهومين، جريدة الصباح، العدد: 80، 2006، ص: 11

9ينظر: رواء نعاس، المثاقفة والمثاقفة النقدية (في الفكر النقدي العربي) مجلة القادسية في الآداب، العراق، العددان 4/3، م 7، 2008، ص: 172

10 رواء نعاس، المثاقفة والمثاقفة النقدية (في الفكر النقدي العربي)، ص: 174

11 زروقي عبد القادر، الشعرية العربية تفاعل أم تأثر، ط. 1، 2015، ناشرون، لبنان، ص: 37

12 آرثر آيزبرجر، النقد الثقافي، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، 2003، المشروع القومي للترجمة، ص: 60

13رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، د. ط، 1998، دار قباء للطباعة، مصر: ص: 10

14 المرجع نفسه، ص: 10.

15 ينظر: رمضان حينوني، المناهج النقدية المعاصرة وتغريب النص،

يوم: 2011/03/23. www. myportail. com/actualites-news-web-2-0. php?id=3128

**حيث يعد رولان بارت من أبرز الذين اعتنقوا البنيوية ثم ثار عليها بل وأصبح مهاجما لها ومعاضدا لأعدائها.

16 عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005، ج1، ص: 162

17 رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ص: 87.

18 المرجع السابق، ص: 174

19 ينظر: آرثر آيزبرجر، النقد الثقافي، ص: 61

20عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص: 161.

21المرجع السابق، ص: 171.

22يمنى العيد، في معرفة النص، ط. 3، 1985، منشورات دار الآفاق، بيروت، ص: 17.

23عباس الجراري، خطاب المنهج، ط. 1، 1990، منشورات السفير، المغرب، ص: 41.

24الطاهر وعزيز، مقدمة كتاب المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية (تأليف جماعي)، ط. 1، 1986، توبقال للنشر، المغرب، ص: 06.

25عباس الجراري، خطاب المنهج، ص: 20

26 عزت جاد، نظرية المصطلح النقدي، ط. 1، 2002، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص: 32

27 نايف العجلوني، الحداثة والحداثية المصطلح والمفهوم، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن،ع2، م1995،14ص:106.

28 عبد السلام المسدي، اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب، مجلة العربي، د. ط، الكويت، 2006، ص: 18.

29 عبد السلام المسدي، المصطلح وآليات صياغته، مجلة علامات، ع 12، ج 08، 1993، ص: 38.

30 سعيد علوش، انزياحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، تونس، 1999، ص: 22

31عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، ط. 1، 2005، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ص: 293.

32 عزت جاد، نظرية المصطلح النقدي المعاصر، ص: 404

33مصطفى الجوزو، مشكلة النسبة اليائية في المصطلحات النقدية الأدبية ولاسيما المترجم والمعرب منها، مؤتمر النقد الأدبي الخامس، جامعة اليرموك، الأردن، 1964، ص: 01.

34عبد السلام المسدي، اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب، ص: 405.

35 أحمد وهب رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مارس، 1996، ص: 21.

36 عبد الرحيم محمد، أزمة المصطلح في النقد القصصي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع:03، 1987، ص: 98

37 المرجع السابق، ص: 17.

38 المرجع نفسه، ص: 18

39 المرجع نفسه، ص: 18

40 سعد البازغي، استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث، ط1، 2004، المركز القافي العربي، مصر، ص:05.

41 عبد العالي بوطيب، إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 2/1، المجلد 23، 1994، ص: 465

42 رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ص: 13.